

نوافذ رمضان



عودة إلى الله

يتوب عن معصية

لم يرتكبها

التوبة هي الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، والندم على ما فرط الإنسان في جنب الله، وما اقترفته به حق عيافته، والتوبة غالبا ما تكون بعد وقوع الإنسان في المعصية، وارتكاب ما لم يأتين به الله، وفي بعض الأحيان يظن الإنسان انه وقع في المعصية، على حين انها لم تقع وانما خيل له ذلك، وتكون الفرحة حينئذ كبيرة، حيث لم يمكن الإنسان لسبب أو لآخر من الوقوع في المعصية، فخرج منها وقد تاب الله عليه.

وتوبة اليوم من النوع الأخير، حيث وقعت لرجل من بني إسرائيل ورد ذكره في الآيات الكريمة من 246 من سورة البقرة حتى 251 وهو ان الملائ من بني اسرائيل من بعد موسى قالوا لنبيهم، أو لآخر من الوجودين بن يال بن عظمة ويعرف بابن العجوز، وقيل يدعى شعمون، لأن امه كبرت وعمقت، وسالت الله الولد فوهبه الله لها، فاسمته شعمون، وهو في العبرانية شعمون. قال شمويل نبي بني اسرائيل لهم، إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا، وكان ديناغا فخرج في ابتغاء دابة اضلهما، فقصد النبي ان يدلّه عليهما او يجد عنده فرجا فأخذ النبي دهما، ودهن رأس طالوت وقال له انت ملك بني اسرائيل الذي أمرني الله بتقدميه، وقال لبني اسرائيل إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا، ولما جلس على عرشه اختار من بين قومه لقتال جالوت، داود عليه السلام وكان مصيرا تحيفا، على حين كان جالوت من أشد الناس واقواهم وهو على رأس قومه العمالقة، داود نبي إيشا أو ابشي، جمع الله له بين النبوة والملك، بعد ان كان راعيا للغنم وله سبعة اخوة في جيش طالوت، ولما قامت الحرب ذهب لرؤيتهم وهو في طريقه فناداه حجر فقال له: خذني فقتل جالوت بي، ثم ناداه حجر آخر وقال مثل ذلك فأخذهما وجعلهما في جعبته، ولما وصل الى الميدان خرج جالوت يطلب مبارزا فخافه الناس، حتى قال طالوت الملك: من يبرز اليه ويقتله فانا أزوجه ابنتي، واحكمه في مالي.

برز داود لجالوت فازدراه لصغر سنه وحجمه، ورده، ثم نادى ثانية فخرج داود ايضا فقال طالوت لداود هل جربت نفسك في حرب مع غير جالوت؟ قال: نعم، قتلت الذئب الذي حاول افتراس غنمي، وقطعت راسه، وصرعت الاسد الذي دخل في غنمي، وكانت عند طالوت درعا لا تستوي إلا على من يقتل جالوت، قالقاهما على داود، فاستوت عليه، وقال لداود: اركب فرسي.. فرفض وقال: إن لم يعنى الله عليّ، لم ينفعني الفرس ولا السلاح.

خرج داود الى حرب جالوت ومعه جعبته وفيها الحجران فاستخف به جالوت وقال لداود: أنت تخرج اليّ كما تخرج الى الكلب! فقال داود: نعم، وأنت أهون، وتقاربا، وقصد جالوت ان يأخذه بيده استخفافا، وتحسس داود الحجرين فوجدهما قد انثما فصارا حجرا واحدا فوضعه في المقلاع وسمى الله، وصوبه الى رأس جالوت فقتله، وجز رأسه وجعلها في جعبته.

اجتمعت بنو إسرائيل على داود، فخاف طالوت على ملكه، فأراد ان يغتال داود فأشار عليه بعض وزرائه: انك لا تقدر على قتله، إلا ان تساعدك ابنتك التي تزوجت داود فعلا، فطلب طالوت من ابنته ذلك فقالت: يا أبت: إن داود له صولة وشديد الغضب، ولست آمن عليك، إن لم تستطع قتله ان يقتلك فقال لها: جبك لزوجك منعك ان تقبلي نصيحة أبيك! وأنا صممت على قطع صهره، فإما ان تقتليه وإما ان أقتلك، فقالت: أمهلني حتى إذا وجدت فرصة أعلمتك.

فكرت زوجة داود في الأمر كثيرا، ثم انطلقت فأخذت زقا من الخمر على هيئة رجل، ثم طيبتة بالمسك والعنبر، ثم وضعته على سرير داود ولحفته بلحافه، وأعلمت داود بذلك وأدخلته مخدعها، ثم أعلمت طالوت وقالت هلم الي داود فاقته فأسرع الى البيت ومعه السيف فوضعه على قلبه ثم اتكا عليه حتى أنفذه فانثخض الخمر، فراح ربح المسك والطيب فقال طالوت: ما أطيبك يا داود ميتا، وكنت حيا أطيب منك ميتا، وتدم وأخذ السيف فأهوى بها على نفسه ليقتلها فسمعته ابنته وقالت: ظفرت بدموك، وخلا لك الملك؟! فقال طالوت: حملني الحسد والغيرة على قتلك، وصرت من أهل النار، وبني اسرائيل لا يرضون بذلك، فقالت يا أبت: أكان يسرك انك لم تقتله؟! قال: نعم.. فأخرجت داود من البيت وقالت: إنك لم تقتله، وهذا داود، ففرج به وندم على مؤامرتي وطلب التوبة من الله.

فأخرج الله نبيه اليهم من قبره فقال لطالوت: إن كفارة خطيئتك ان تجاهد حتى يقتل اهل بيتك، فلم يبق منكم أحد، فقدم جالوت المذبح بالسلاح والدرع، وسخر جالوت من داود وأهانته وضحك منه، ووضج داود حجرا كبيرا في مقلاعه وطوح به في الهواء واطلق الحجر، وأصاب جالوت فقتله.

امام تاريخ الصحابة رضوان الله عليهم يقف العقل مبهوتا مشدوها، يتملى الآيات الالهية التي تجلى بها، لتكون عونا لهم على نشر دين الله، ومحو الجاهلية من العقول الراسخة في اغلالها، فمن الصحابة من جعل الله آيته في رؤية الملائكة وهي تضرب الكفار بالسياط في ميدان القتال مثل ابي طلحة، ومنهم من جعل آيته في رؤية الملائكة وهي كالظلة فوق بيته تستمع اليه اثناء تلاوته القرآن مثل اسيد بن الحضير، ومنهم من جعل آيته في نزول الغيث اذا رفع يديه الى السماء ودعا الله ان ينزل المطر مثل العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم من جعل آيته في تحويل عصاه الي مصباح يضيء له الطريق في الليلة الظلماء مثل الطفيل الدوسي، ومنهم من جعل آيته في ارسال الطعام اليه وهو في غرفة موصدة سجنه فيها الاعداء مثل خباب بن الارت، ومنهم من جعل آيته في ان تغسله الملائكة مثل حنظلة بن ابي عامر.

آيات كثيرة ومتعددة تسمنت ذروة التاريخ وجاءت مدفوعة بالاسانيد التي لا تقرب منها ريبة ولا تتدنى اليها شبيهة، وقد جعل الله لهذا الصحابي العظيم آية وقف حياها قومه حيارى يتاملونها في دهشة، ويجدون فيها شيئا يخرق ناموس الحياة، فسارعوا الي اعتناق الدين السذي يدعو اليه وتفتحت قلوبهم لتلقي نور السماء بعد ان كانت موصدة بمفاتيح الجاهلية على ما يستكين فيها من وهم وزيف وضلال.

اما كيف اسلم هؤلاء الوثنيون

بعد مكابرة وعناد فإن صدى بن عجلان وكنيته ابو امامة ذهب اليهم باعتبارهم قومه يدعوهم الي الله عز وجل، ويعرض عليهم شرائع الاسلام، ويحكي ابو امامة ما حدث له مع باهلة قومه فيقول: لقد اتيتهم وقد سسقوا ابلهم وحلبوها وشربوا، فلما رأوني قالوا مرحبا بالصدى بن عجلان، بلغنا انك صبوت الي هذا الرجل، فقلت لهم: لا ولكنني آمنّت بالله ورسوله، ويعنني رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم لأعرض عليكم الاسلام وشرائعه.

وبينما نحن كذلك، اذ جاءوا بصدعتهم فوضعوها واجتمعوا حولها وكانت ممتلئة بالدم، وقالوا: هلم يا صدى، فقللت لهم: ويحكم، انما آتيتكم من عند من يجرم هذا عليكم الا ما ذكبتكم كما انزل الله، قالوا: قال؟ قلت: نزلت هذه الآية الكريمة في المحرمات (**وَلَا تَنْكِحُوا الْمُكْنُزَ وَالسُّدُمَ وَالْحُنُوزَ وَمَا أَهَلَ بَعْضُهُنَّ لِلَّهِ بِهِ وَالْمَنْعَقَةَ** **وَالْمَوْوَدَةَ** **وَالْمَكْرَدَةَ** **وَالْمُطَيَّبَةَ** **وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذُكِّتُمْ** **وَمَا دَبَّحَ عَلَى الصُّبِّ** **وَأَنْ تَسْتَفْسِمُوا** **بِالْأَرْهَامِ**).

ثم جعلت ادعوهم الي الاسلام وهم يابون، فقلت لهم: ويحكم، ابشوني بشربة من ماء فأني شديد العطش، فقالوا: لا، ولكن ندعك تموت عطشا، فصربت رأسي في العمامة ونحن في الرضاء في حر شديد، وتركتهم ياكلون الدم، فأتاني أت في منامي بإناء من زجاج لم ير الناس احسن منه، وفيه شراب لم ير الناس افضل منه، فأخذته وشربته فشبعنت ورويت، ولما فرغت من شرابي استقيظت، فوالله ما

عطشت بعد ذلك ابدا، واذا انا في هذه الحالة من الشبع والري، قال رجل لهم منهم: اتاكم رجل من سرة قومك فلم تتمنوه! فأتوني بلين، فقلت لهم: لا حاجة لي به، ثم اريتهم بطني فاسلموا على آخرهم، ولندع قوم باهلة الذين اراهم الله آية في واحد منهم، فتركوا رفافة نحو النور والطهر، ولنغش مع ابي امامة في سموه الروحي، وطهارته الوجدانية، وصفائه النفسي، لقد كان واحدا من اولئك الذين اصطفاهم الاسلام لحمل مشاعله، فراح يتعلم على يد الرسول صلى الله عليه وسلم ويطبّق ما يتعلمه بكل امانة والتزام.

سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ان الله جعل السلام تحية لأمّتنا وامانا لاهل نمتنا، فكان ابو امامة يسلم على كل من لقيه، فلا يمر على احد سواء كان مسلما او غير مسلم، صغيرا او كبيرا، الا قال: سلام عليكم، سلام عليكم، ولم يسبقه احد بالسلام الا مرة واحدة، حيث اختبا يهودي خلف شجرة ثم خرج فجأة وسلم عليه، فقال له ابو امامة: ويحك يا يهودي، ما حملك على ما صنعت؟ فقال له اليهودي: رأيت رجلا يكثر السلام، فعلمت انه فضل، فأردت ان آخذ به، فقال له ابو امامه ان هذا من ادب الاسلام الذي تعلمناه من الرسول صلى الله عليه وسلم. وما تعلمه ابو امامة من الرسول صلى الله عليه وسلم ايضا بر الودين، وقد حدث ان كانت ام ابي امامة مريضة والنبي صلى الله عليه وسلم يتجهز لغزوة بدر، وعلم النبي صلى الله عليه وسلم بمرضها، فطلب الي ابي امامة ان يبقى بجوار امه يرعاها، لأن رعاية الوالدين لا تقل اجرا عن الجهاد

الرجال مواقف

أبو امامة الباهلي جعل الله له آية أعانته على إسلام قومه

في سبيل الله، وبالفعل بقي ابو امامة بالمدينة وماتت امه اثناء المعركة، ولما انتصر الرسول صلى الله عليه وسلم وعاد الى المدينة زار قبرها وترحم عليها. ولقد كان ابو امامة ممن يابيعوا النبي صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان تحت الشجرة يوم صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة، لذلك فإنه عندما نزل قوله تعالى (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ نَبَّيْغُواكَ حَتَّى الشَّجَرَةَ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا)، قال ابو امامة: يا رسول الله، اتا ممن يابيعك تحت الشجرة، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم:

انت مني وانما منك، وكان ابو امامة مفهوما بالعلم، مشغوفا بالمعرفة، ما انفتحت له منى وانما منك، وكان ابو امامة من سبيل الله صلى الله عليه وسلم الا ويحفظها عن ظهر قلب، ولما سئل عن سر تفضيله العلم على العبادة قال: ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان، احدهما عابد والاخر عالم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم، ان الله وملائكته واهل السموات حتى النملة في حجرها وحتى الصوت ليبصون على معلم الناس الخير، ثم تلا هذه الآية (إِنَّمَا يُخَشِيَ اللَّهُ مَنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ).

ومن الخصال التي اشتهر بها ابو امامة الباهلي الصبر وكنتم المصيبة، وعدم الشكوى للناس، والشكر على النعمة، كان صبارا شكورا يتسع قلبه لهوم اقل من الجبال، ولكنه يتحملها بايمان لانها مقدرة عليه، ولم تكن الدنيا تساوي عنده شيئا لذلك عاش معرضا عنها غير راغب فيها.



ذنوب كبيرة

ترك الحج مع القدرة عليه

قال الله تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من ملك زادا وراحلة تبلغه حج بيت الله الحرام ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا او نصرانيا». وذلك لأن الله تعالى يقول: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا). وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقد هممت أن أبعث رجلا الى هذه الأمصار فينظر كل من له جدة ولم يحج فيضربوا عليه الجزية، وما هم بمسلمين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما من احد لم يحج ولم يؤد زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند موته، فقيل له: إنما يسأل الرجعة الكفار، قال: وإن ذلك في كتاب الله تعالى: (وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن ياتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدقني أي أؤدي الزكاة: (وأكمن من الصالحين) أي أحج (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خير بما تعملون). قيل: فبم تجب الزكاة؟ قال: بماثني درهم وقيمتها من الذهب، قيل: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة، وعن سعيد بن جببر رضي الله عنه قال: مات لي جار موسر لم يحج فلم أصل عليه.

الكذب

قال الله تعالى: (قتل الخراصون) أي: الكاذبون، وقال تعالى: (إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب).

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان الصدق يهدي إلى البر، وان البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وان الكذب يهدي إلى الفجور، وان الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»، وفي الصحيحين ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال: «أبنة المنافق ثلاث وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان»، وقال صلى الله عليه وسلم: «أربع من فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا عهد غدر، وإذا جاءه فجر» وفي صحيح البخاري في حديث منام النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فاتينا على رجل مضطجع فصاح وأخر قائم عليه بكلم من حديث يشر شرس شديقه إلى قفاه وعينه إلى قفاه ثم يذهب إلى الجانب الاول فما يرجع إليه حتى يصبح مثل ما كان، فيفعل به كذلك إلى يوم القيامة.

رسائل الرسول

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى فيصّر هرتل' (2-3)

قيصر: ما تخاف من مدته هذه؟

أبوسفيان: إن قومي أمداو حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة.

قيصر: إن كنتم انتم بدأتم فانتم اغدر.

قيصر: ماذا يأمركم؟

أبوسفيان: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا وتركوا ما يقول أبؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

قال أبوسفيان: فأعاد علي الحديث، قال: زعمت انه من أمضحك نسبا، وكذلك يأخذ الله النبي، لا يأخذه الا من أوسط قومه.

وسألتك: هل كان من اهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به؟

قلت: لا، وسألتك: هل كان له من ملا فاستلبتموه اياه فجاه بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه؟ فقلت: لا، وسألتك: هل

كنتم تهمون به بالكذب قبل ان يقول ما قال؟ فنكرت أن لا.

فقد عرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على

الله، وسألتك عن يتبعه أحيبه ويكرمه أم يقلبه ويقارهقه؟ فزعمت أنه قل من يصحبه فيفارقة، وكذلك حلالة الايمان لا تدخل قلبا فتخرج منه.

وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه؟ فزعمت أنها سجال يدال عليكم وتداولن عليه، وكذلك يكون حرب الانبياء ولهم تكون العاقبة، وسألتك هل يغدر فزعمت انه لا يغدر، وسألتك بم يأمركم؟ فنكرت انه يأمركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وبيناكم عن عبادة الاوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فلئن كنت صدقتني ليلغن على ما تحت قدمي هاتين، وكنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أعلم أني أخلص اليه لتجملت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.

ثم قال: الحق بشأنك. قال أبوسفيان: فممت وأنا أضرب إحدى يدي على الاخرى وأقول: يا عباد الله لقد أمر أمرُ ابن أبي كبشة (يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم) وكان يكنيه كفار قريش بأبيه من الرضاع، وأبوكبشة هو زوج حليمة السعدية التي أرضعته صلى الله عليه وسلم وأصبح ملوك بني الاصغر (الروم) يخافونه في سلطانه.

حامل كتاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر

هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن غزرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبى.

صاحب رسول صلى الله عليه وسلم، شهد أحدا وما بعدها وكان جبريل عليه السلام يأتي رسول صلى الله عليه وسلم في صورته أحيانا.

قال صلى الله عليه وسلم: «من ينطلق بكتابي هذا فيسير السى هرقل وله الجنة؟». فأخذ الكتاب دحية الكلبى رضي الله عنه إلى قيصر سنة ست في هجرة الحديبية.

الكتاب

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الي هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، اما بعد فأني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت به فأنت عليك إثم اليريسين، (يا اهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نُشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا آربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) - آل عمران 64.

أخذ هرقل الكتاب وجعله بين فخذيه وخاصرته، ثم كتب إلى رجل من أهل رومية عالم بالكتب المقدسة ليخبره عما جاء به عن نبي آخر الزمان فكتب اليه: أنت النبي الذي ينتظر لا شك فيه فأتبعه.

● **سيد الرفاعي**